

الفلسفة الإسلامية والمصطلح الصوفي، في المدونات النقدية الحديثة

عبد القادر فيدوح أنموذجا

The Islamic Philosophy and Sufi Terminology on Modern Critical Writings: Abdelkader Fidhouh as a Model

بلحاج كريمة	Karima.belhadj@univ-tissemsilt.dz أحمد بن يحيى الونشريسي - تيسمسيلت
-------------	--

الإرسال: 2024/09/03	القبول: 2024/09/09	النشر: 2024/12/29
---------------------	--------------------	-------------------

الملخص:

شكّل الامتزاج الثقافي بين العرب والحضارة اليونانية نقطة مهمة في تطور الفكر العربي واتساع رقعة النشاط الفلسفي، فظهرت الفلسفة الإسلامية، وبرزت معها أسماء عديدة ممن طوروا العقل العربي وصنعوا فلسفته، مثل: الفارابي، الكندي، الرازي، ابن رشد، الغزالي وغيرهم الكثير، فكان لهم الفضل في بناء فلسفة إسلامية لها خصوصيتها استنادا لمرجعيتين مهمتين؛ العقل والدين. وما أن لكل علم منهجه ومصطلحاته ونظرياته، فقد عمل الفلاسفة العرب على بناء منظومتهم المصطلحاتية، اعتمادا على مرجعياتهم الفلسفية والدينية، وبطبيعة الحال اللغوية. والتصوف كظاهرة دينية عقلية شكّل ميزة خاصة من مميزات الفلسفة الإسلامية، لذلك عملنا على الاشتغال على هذا الجانب سعيا منا للبحث عن علاقة التصوف بالفلسفة، وكذا أثر المصطلح الصوفي، في المقاربات والمدونات النقدية.

ومن هنا نتطرق إشكالية الطرح من البحث في المفاهيم المتعلقة بالفلسفة الإسلامية، وكذا علاقة التصوف بها وكيف أسهم المصطلح الصوفي في بناء المقاربات النقدية الحديثة؟

الكلمات المفتاحية: الفلسفة الإسلامية ; التصوف ; المصطلح الصوفي ; المقاربات النقدية.

Abstract: The fusion of Arab and Greek cultures significantly advanced Arab thought and led to the rise of Islamic philosophy. Key figures like Al-Farabi, Al-Kindi, Al-Razi, Ibn Rushd (Averroes), and Al-Ghazali were instrumental in shaping this philosophy, which uniquely integrated reason and religion. Arab philosophers developed

their own terminological systems based on philosophical, religious, and linguistic foundations. Sufism, as a rational religious phenomenon, became a distinctive part of Islamic philosophy. This text explores the relationship between Sufism and philosophy, questioning how Sufi terminology has influenced modern critical approaches .

Key words: Islamic philosophy; Sufism; Sufi terminology; critical approaches.

1- مقدمة: أسهمت الحضارة اليونانية بشكل كبير في بناء الفكر العربي وتطور فلسفته بالخصوص بعد اطلاعهم على فلسفة أفلاطون وأرسطو، من خلال ترجمة مؤلفاتهم، ولعل ميزة العقل العربي في حدّ ذاتها قد مهدت لهذا الانصهار الثقافي بين حضارتين تختلفان عن بعضهما البعض، كما أن قابلية الانفتاح على الآخر أسهمت بشكل كبير في صناعة فلسفة عربية إسلامية لها خصوصيتها، فبعض الدراسات حاولت إثبات وجود نشاط فكري فلسفي عند العرب قبل الاتصال بالحضارة اليونانية، وقد لا تكون فلسفة بالاصطلاح المعروف لكنها تعتبر بحسبهم وإلى حد ما نشاطا عقليا له خصوصيته، فقد رأوا أنّ العصر الجاهلي كانت لديه كذلك فلسفته الخاصة، وقد أشار إلى ذلك الناقد عبد القادر فيدوح، في كتابه القيم الفكرية والجمالية في شعر طرفة بن العبد، فقد جاء مؤلفه مرآة عاكسة للعصر الجاهلي وما ميّز تلك الفترة؛ لكن بصورة تختلف عما تعكسه المرأة من ظاهري الشيء، إنّما عكست عميق ما جاء في تلك الفترة وذلك من خلال الحديث عن قضايا تحمل عمقا فلسفيا، وتعكس ما حملته الذهنية العربية آنذاك من فكر عميق، ينبئنا حقيقة بنضج تلك الفترة على خلاف ما كان يصوّر عنها، من عصبية وجهل ولعلّ في هذا إشارة واضحة إلى أن العرب قد عرفوا نوعا من التفكير الفلسفي، في حياتهم وعكست ذلك أشعارهم المعروفة في الوجودية، والتأمل العميق خاصة الشعراء الصعاليك.

وبعد نزول الوحي، والقرآن الكريم، أصبح أمر التدبر فيه، واستقصاء معانيه ضرورة، لا بد منها خاصة أنّ القرآن الكريم كان معجزة يصعب فهمه وتفسيره، ويتطلب إعمالا للعقل، وإدراكا واسعا بمكوناته وهذا ما دفع الفلاسفة المسلمين، إلى العمل على خلق فلسفتهم الخاصة، بناء على الدين الإسلامي، وكذا إعمال العقل والمنطق، وكان أن ظهرت على إثر هذا فرق كلامية، متعددة ومذاهب وشيع مختلفة والتصوف كان أحدها، على اعتبار أنّه شكل من أشكال الفلسفة كما يرى البعض.

والذي وجد طريقه كذلك في بعض المدونات النقدية، والمناهج لذلك قبل التطرق إلى العنصر الأساسي للبحث سنحاول كشف بعض المفاهيم الأساسية عن هذا الموضوع.

2- الفلسفة الإسلامية والتصوف:

قبل التطرق إلى مفهوم الفلسفة الإسلامية لابد لنا من أن نشير إلى أن المصطلح يطرح إشكالية أخرى - إن صح التعبير - الانتماء أو الهوية؛ بحيث وجدنا أنفسنا أمام جدل مصطلح الفلسفة العربية ومصطلح الفلسفة الإسلامية. وهذا ما دفع الكثيرين إلى رفض هذا الجدل فالقول بتسمية الفلسفة العربية يلغي الكثير من الدول المجاورة للبلاد العربية خاصة وأن معظم الفلاسفة المسلمين كانوا من أصول أعجمية، لذلك « يذهب الأستاذ معين بجامعة طهران إلى أن القول بالفلسفة العربية يخرج الإيرانيين والأفغان والباكستانيين والهنود، ويرى اختيار اسم مثل فلسفة إسلامية أو فلسفة الدول الإسلامية وما جاورها»¹ كما جاء موقف المستشرق الفرنسي كوربان Henry Corbin* مدافعا عن الفلسفة الإسلامية بقوله: « إذا أخذنا بفلسفة عربية لكنت ضيقة جدا بل خاطئة... وأيضاً إنني أرفض أن أربط بين مفهوم ديني وبين وطن أو جنس، ولذلك كان أصدق عنوان هو الفلسفة في الإسلام أو الفلسفة الإسلامية أو الفلسفة في الدول الإسلامية...»² وهذه المواقف إلى حد بعيد تحمل وجهة نظر صحيحة فتعاليم الدين الإسلامي في حد ذاتها ترفض تلك العنصرية ولا تجد فرقا بين ما هو عربي وأعجمي بدليل أن معظم المفكرين والفلاسفة المسلمين ترجع أصولهم إلى العجم.

ومن هنا يتحدد تعريف الفلسفة الإسلامية على أنها « البحث في الكون والإنسان في ضوء التعاليم الدينية التي نزلت مع ظهور الاسلام»³ فأساس الفلسفة الإسلامية، لا يقتصر على العقل المجرد، إنما يشمل كذلك الوحي، وما يتعلّق بالعقيدة الدينية.

انطلقت الفلسفة الإسلامية من البحث في الكون والذات الإنسانية وتعددت بذلك مجالات بحثها وخصائصها، فهي «تحتوي على ما يمكن أن نطلق عليه الفلسفة التقليدية ذات الاستلهام اليوناني، وعلم الكلام، ومقالات الفرق الدينية والتصوف والأخلاق، والأدب الديني والمنطق، وآداب البحث والمناظرة، وفلسفة التاريخ والسياسة، بالإضافة إلى مجموعة العلوم الرياضية، والتجريبية، وما

يمكن أن يستخلص من هذه العلوم جميعا ويتعلق بمناهج البحث الخاصة والعامة»⁴ وهذا ما يمنح الفلسفة الإسلامية خصوصيتها بتعدد مشاربها.

في حين هناك من ينكر علاقة علم الكلام والتصوف بالفلسفة الإسلامية «لا نزاع أن الفلسفة ضرب من الدراسة يختلف عن اللاهوت أو علم الكلام، منهجا وموضوعا. أما منهج الفلسفة فهو البرهان العقلي، بحسب القدماء من الإسلاميين واليونانيين، وأما منهج علم الكلام؛ فهو الجدل. وأما موضوع الفلسفة فهو الكون والإنسان والنظر في مبادئ الوجود وعمله... ولكن موضوع الكلام أساسا هو الله وصفاته، وصلة الله بهذا العالم والإنسان...»⁵ والأمر ذاته مع التصوف حيث ينكر أحمد الأهواني حيث يقول: «ليس من الحق أن نزع أن التصوف هو الفلسفة الإسلامية، اللهم إلا في العصور المتأخرة التي امتزجت فيها هذه التعاليم كلها واختلط بعضها ببعضها الآخر حتى أواخر القرن الماضي وذلك بسبب أن الفلسفة كان قد صدر ضدها فتاوي تحرم الاشتغال بها»⁶ في فترات سابقة تم تحريم الفلسفة وممارستها لذلك امتزجت بعلم الكلام والتصوف وأصول الفقه وما سبق أن ذكرناه عن مجالات الفلسفة الإسلامية، ثم استطاعت الفلسفة بعد ذلك أن تنفصل عن علم الكلام والتصوف مع زعماء الفكر الإسلامي من أمثال جمال الدين الأفغاني، والإمام محمد عبده وغيرهم

وبما أن طرحنا يروم البحث عن الفلسفة الإسلامية والتصوف ونشأة المصطلح الوصفي كان ولا بد لنا من البحث في العلاقة التي تربط الفلسفة بالتصوف، ويحضر أمانا الحوار الذي دار بين ابن عربي وابن رشد حينما سأله: هل القمة التي وصل إليها الفلاسفة بالعقل والفكر هي القمة التي وصل إليها المتصوفة بالتصفية والتجرد والذكر؟ فقال له محيي الدين: نعم، ولا. وبين «نعم ولا» تطير الأرواح⁷ ولعل ابن رشد هنا بطرحه لهذا السؤال كان يحاول أن يجد علاقة تربط الفلسفة بالدين، أو لنقل أنه كان يحاول أن يثبت أن الفلسفة يمكن أن تصل بنا إلى الحقيقة الإلهية، ونذكر حقيقة الدين بفضل العقل والتفكير المنطقي، لكن إجابة ابن عربي، لم تكن بالمرحبة له، فمنطق الفلاسفة يختلف عن منطق المتصوفة، لأن ابن عربي يفسر إجابته هذه بقوله: "نعم؛ لأن العقل قد يهدي إلى الله، ويدرك ويلمس أسرار الكون، ولكن العقل المجرد مع وصوله إلى تلك القمة، ينحدر وينزلق ويضل في المتشابهات، فضلا عن ابتعاده عن التعبد والتطهر، وتحلله من الكمالات الخلقية والشرعي"⁸. فالعقل ليس منزها عن الخطأ وقدرته محدودة عن إدراك الكمال الإلهي.

كما نجد العديد من التعريفات المرتبطة بالفلسفة، اعتبرت بحد ذاتها، تعريفات للتصوف فالكندي عرّف الفلسفة بأنّها العلم بجميع الأشياء، وعرّفها الفريابي، بأنّها العلم بالموجودات كما هي موجودة، وقال الشيرازي أنّ الفلسفة استكمال النفس الإنسانية بمعرفة حقائق الموجودات على ماهي عليها والحكم بوجودها تحقيقاً بالبراهين لا أخذاً بالظن والتقليد... وهذه التعريفات هي بذاتها تعريفات التصوف، غير أنّ الخلاف بينهما في النهج والطريقة⁹ فالفلسفة أساسها العقل والتصوف أساسه الإحساس والعاطفة.

وبما أنّ لكل علم منهجه، ونظرياته، ومصطلحاته، فإنّ لكل من الفلسفة والتصوف مصطلحاتها الخاصة، التي تبني عليها مفاهيمها ونظرياتها، وقد اجتهد الفلاسفة العرب، في مسألة وضع المصطلحات، معتمدين في ذلك على مرجعياتهم الفكرية، ما تعلق أولاً بما أخذوه من الفلسفة اليونانية إضافة إلى مراعاة مسألة الدين، وكذا العنصر الأساسي وهي اللغة.

3- المصطلح الصوفي:

مع تطور العلوم والمعارف في الفكر العربي كان ولا بد من بناء نظريات ومناهج وبطبيعة الحال مدونة مصطلحاتية ترافق هذه النظريات والمناهج، وبما أنّ التصوف في ارتباطه بالفلسفة ومختلف العلوم، عمد المتصوفون إلى وضع معاجم إصطلاحية تخصهم معتمدين في ذلك على « القرآن المصدر الأول لهم ثم الحديث والفقه، النحو وعلم الكلام والفلسفة وحتى العلوم البحتة كالكيمياء والفلك وعلم التنجيم، ومن الأدب خاصة الغزل... »¹⁰ وهذا بطبيعة الحال وفق منهجهم الفكري المطعم بتلك المسحة الروحية. لذلك يعرف المصطلح الصوفي على أنّه « مفردات يستخدمها الصوفية للتعبير عن تجاربهم الروحية في التقرب إلى الحق تعالى، وهي ناتجة عن ذوق أو كشف صوفي . لقد تكون من اجتماع المفردات الاصطلاحية عند الصوفية أشبه ما يكون بلغة خاصة تميزت وتفردت بدقة العلم اللغوي، ورقة الأدب الموهوب، وشرف الروح الملهمة »¹¹ لقد اجتمعت خصائص مختلفة في تكوين المصطلح الصوفي من أبرزها اللغة، والمعرفة، والجمالية الأدبية وغيرها.

وبما أنّ التصوف اعتبر من أشكال المعرفة الفلسفية الإسلامية، فقد كان مادة ثرية للكثير من الدارسين في مجال اللغة وعلوم اللسان، والأدب، والنقد على حدّ سواء. لذلك عمدنا إلى البحث عن أثر التراث الفلسفي الإسلامي في المدونات النقدية، وبالخصوص المصطلح الصوفي فكان

الناقد الجزائري عبد القادر فيدوح، من أهم النقاد الذين اعتمدناهم في هذا الطرح للبحث عن علاقته بالتصوف، وكيف كان له دور في بناء توجهه النقدي.

4- الفلسفة الإسلامية والمصطلح الصوفي عند عبد القادر فيدوح:

يعتبر الناقد عبد القادر فيدوح من أبرز النقاد الجزائريين الذين، اهتموا بدراسة التراث على ضوء المناهج النقدية الحديثة، وكانت الفلسفة الإسلامية، و التصوف، من بين أهم المواضيع التي تطرق إليها. كما اعتمد على توظيف الكثير من المصطلحات الصوفية في مقارباته النقدية، من بين هذه المصطلحات " القصيدة السمة" والذي قد أشار إليه في أول كتاب نقدي له **دلائلية النص الأدبي** قدم فيه دراسة تطبيقية على قصائد من الشعر الجزائري، وقد أشار إلى أن القصيدة السمة « لا تملك الصفة المطلقة في أدواتها الإجرائية لتأكيد الغاية أو إظهار الحقيقة التي يبرزها النص في معطاه الخارجي وإنما ابتعادها عن المعنى المطابق صفة مميزة لها، سواء تعلق الأمر بمظاهرها الدلالية أو بخطاطتها البيانية ضمن علاقات تجمع بعضها ببعض وحدات متميزة مستقلة»¹² فهي لا تملك صفات أو معاني ثابتة، وليست أداة لتحقيق غاية معينة أو عرض حقيقة مطلقة، بل هي تعبير في يتجاوز الوظيفة التوضيحية، معتمدة في ذلك على الرمزية والخيال والتجريد وقد تعدداها.

كما تناول عبد القادر فيدوح القصيدة السمة من خلال تجربة الشعر الصوفي لكمال أديب الدين، في كتابه **أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصوفية في شعر أديب كمال الدين** وقد قدم لهذا الكتاب فاضل عبود التميمي مشيراً إلى اقتراح فيدوح لمصطلح القصيدة السمة التي يرى أنها « تتوازي مع القصيدة الصورة في توافقها الخفي بين ظاهر الشيء وشعور الفنان، أي بين حالة الحضور وحالة الغياب، وهي بالتأكيد قادرة على احتواء جملة علامات القصيدة التي تنبثق منها تشكيلات الدوال والمداليل فضلاً عن التمظهرات الأخرى الفاعلة في المتن...»¹³ ما يعني أن القصيدة السمة يمكن أن نعتبرها حالة معقدة تحتوي على تفاعلات متعددة بين الظاهر والباطن، بين الصور والمعاني، وبين الحضور والغياب، بحيث تشكل كياناً جمالياً وثرياً بالمعاني.

ودراسته الصوفية لشعر أديب الدين، كانت مطعمة بالكثير من المصطلحات الصوفية مثل، التجلي، الكشف، الباطن، المعرفة، الوجود، ذات الحق الفيض... كما تطالعنا أعمال أخرى له كان للمصطلح الفلسفي و الصوفي بالتحديد حضور قوي فيها، من هذه المصطلحات:

• **التأويل:** من بين المصطلحات الفلسفية التي تناولها أستاذ فيدوح وشكلت عنصراً محورياً في جميل مؤلفاته النقدية، مثل كتاب **التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية**، ويعدُّ أهم مرجع بحث فيه الناقد نظرية التأويل من منظور الفلسفة الإسلامية العربية، وقد يكون أول كتاب تفرّد بالتطرق إلى التأويل في التراث النقدي، واقتترانه بما يصطلح عليه بالنظرية، خلافاً لبقية الدراسات الأخرى، التي تناولت التأويل في التراث العربي بدراسات مقتضبة على شكل مقالات.

يشتمل الكتاب على مقدمة، وخمسة فصول، وأهم المصادر والمراجع التي اعتمدها، وهو في معرض كتابه هذا ومن منظور حدائني ينطلق من فكرة، الأساس الشرعي، والرجوع للعقل للاستدلال؛ على أهما الوسيلتان الأساسيتان للوصول إلى الحقيقة، حقيقة التأويل الفلسفي والفصل الرابع في المؤلف، المعنون بـ "التأويل وتحصيل البرهان" يتحدث فيه عن دور الفرق الكلامية والفلاسفة في تطور الفكر العربي والإسلامي، من خلال محاولة التوفيق بين الشرع والحكمة وقد أعزى الأستاذ فيدوح الفضل في ذلك للفيلسوف "ابن رشد" فقد كان خير معبر عن مسألة التوفيق بين الشريعة والفلسفة. "فكل من علم الكلام والفلسفة قد أفضيا إلى تقدم المعارف وفق آلية الاجتهاد بالتأويل، الذي حرك استقرار الذهنية؛ حيث ارتقاء العقل مع الفلسفة الرشدية في قرائنها المغايرة، والتي جعلت من آلية التأويل صيغة مسخرة للفلسفة، في قراءة النص الشرعي بروح التوفيق بين النقل والعقل"¹⁴ هذا فيما يتعلّق بالتأويل عند الفلاسفة، أما ما يتعلّق بالتأويل عند المتصوفة، فجاء في آخر فصل عنونه بـ "المعراج الصوفي والتأويل الذوقي"، مقسماً إياه إلى مبحثين: مفهوم الكشف والمشاهدة ورحلة الكشف أمّا المبحث الثاني فيناقش مفهوم الجمال ووحدة الوجود.

ففي المبحث الأول يرى "أنّ مسعى التأويل عند المتصوّف هو المعرفة، ويستمد رأيته من الحضرة التي يدرك بها الأشياء إدراكاً ذوقياً"¹⁵، فالحضرة كسلوك، تعطي المتصوّف نقلة روحية بحسب تصوراتهم ولها من الجمالية ما لها من حيث معبر الكشف الإلهي، وفي ما يتعلّق بالمبحث الثاني الخاص بحقيقة الجمال ووحدة الوجود، فقد أشار الأستاذ إلى "أنّ الجمال في تأويل المتصوفة غاية أسمى، وذلك بعد انتقائهم من تفانيهم في الهيام بحسن الخلق الذي يشكّل المادة الحقيقية للوجود إلى عالم الأظلة حيث الحنين إلى الأصل، وهذا ما يعكس انتقال حركة الكائن في الوجود إلى المكانة الأسمى

باشتيق النفس إلى الفضائل في صفات الحبّ الإلهي ومن ثمّ؛ كانت الصفات الجمالية بمثابة وسيلة للتقرّب بما إلى حبّ الله¹⁶ أي أنّ العملية تشبه عملية التطهير النفسي من الشرور الداخلية والانتقال إلى مرحلة من الصفاء والنقاء الروحي.

كما نجد أنّ الناقد في دراساته اللاحقة، عمد إلى استخدام النزعة الصوفية، أو المنهج الصوفي إن صح القول، في دراساته النقدية، خاصة الشعر ووظّف من المصطلحات الصوفية ما ساعده على فك شيفرات هذه النصوص، ففي كتابه معارج معنى الشعر العربي الحديث، سعى إلى إبراز علاقة التشابه بين الصوفي والشاعر، من حيث أنّ كليهما يتعاملان مع الباطن الخفي.

وقد خصص الناقد فصلاً كبيراً في هذا الكتاب، حيث تتقارب الصوفية مع النص الشعري رغبة في الانتقال إلى عالم أنقى وأرقى و "لعلّ الذات هنا قد تجد في المعتقد الصوفي منعرجاً لها في مأزقها والواضح أنّ هذا الميدان خير ميدان تتفتح فيه ذاتية الشاعر وفرديته، فهو ينفصل عن المجتمع ظاهرياً ليعيش آلامه التي هي نفسها آلامه التي هي نفسها آلام المجتمع بوجود مأساوي، رغم أنّ هذا النوع من التصوّف محاولة للتعويض عن العلاقات الروحية، والصلات الحسية التي فقدها الشاعر"¹⁷ فالشاعر هنا كأنّه يمارس طقوس الحضرة التي تنقله من واقعه المادي إلى عالم آخر مغيب عالم الروح.

وما يمكن أن نضيفه بشأن هذه العلاقة، أنّ " التجربة الصوفية والتجربة الشعرية على حدّ سواء هما في حقيقتهما تجربة حساسة ونفسية وشعورية تكشف عن واقع الحياة اليومية، وما يتبلور عنها من مشاعر في وجدان الشاعر"¹⁸ كما أنّ "كلاً من الشاعر والمتصوّف يتعامل مع الباطن والمضمّر والخفيّ عندما يتحدّ بالموضوع، الذي يشغل باله وذلك حتى تجري عملية تماثل الرؤية الانفعالية التي تتسبب في دفقة المشهد الشعوري"¹⁹ لقد حاول الناقد هنا إبراز تلك العلاقة المترابطة بين الشاعر والمتصوّف، فكلاهما يتحدان في مسألة التأمل، والغوص في الباطن، للانتقال من العالم المحسوس، إلى العالم النوراني.

وبالتتبع لهذه المؤلفات على غرار كتاب الرؤيا والتأويل، نجد الناقد في قاموسه، قد استعمل عديد المصطلحات الصوفية، معبراً عن ذلك بأنّ هناك جوانب أخرى تشترك فيها الصوفية بوصفها خطاباً منهجياً لتحليل النصوص وتأويلها، مع القراءة الحداثيّة التي تطمح إلى مقارنة النص استناداً إلى شفرات المنهج الصوفي²⁰، وهي كما يلي:

- **فيض البرهان، كشف الكشف:** البرهان من المصطلحات الفلسفية، ويعرف بأنه استنتاج عقلي يستلزم بالضرورة وجود نتائج، والبرهان الصوفي، يرتبط بالوجود من حيث السبب والعلّة وتصديق علّة الوجود، أما الكشف؛ فهو الاطلاع على المعاني الغيبية وكشف المستور .
ومما جاء في هذا العنصر " أنّ القصيدة لا تفصح عن ذاتها ولا تكشف عن هويتها، بل هي تتوارى خلف أستار وحجب، ولا تتجلى إلا في شكل احتمال أما الوارد فيها فهو محض علامات دالة تختبئ وراءها مدلولات جمّة متعددة"²¹ ففيض البرهان وكشف الكشف من السبل المؤدية إلى كشف مآهات النص وفجواته، اعتمادا على النظرة الباطنية.
 - **اللغة والرمز:** يستند المنهج الصوفي إلى مقولة اللغة والرمز بوصفهما مقولتين فلسفتين وذهنيتين، يشتركان في أداء الوظيفة الرامزة، لذلك سلكت الصوفية مسلك الرمز، لما يحمله من طاقات الغموض والإبهام والإيحاء، بقصد استلهاام عوالمه الغامضة بوصفها مؤثرات على الباطن الخفي... التي لا تستوعبه إلا بالطاقة الكشفية²²
 - **الخيال والبرزخ:** يعتبر الخيال عند الصوفية " أداة للمعرفة ضدا على أطر العقل والمنطق، وعلى هذا الأساس ارتقى الخيال لدى المتصوفة ليصبح أداة لتفسير السلوك المعرفي القائم على الكشف الصوفي، وإضافة إلى هذا وذاك ينهض الخيال كعنصر بناء مركزي للنص الصوفي ناسجا خيوط علاقة تربط الديني بالجمالي، وفتاحا في الآن نفسه دروبا لا متناهية في طريق إدراك مخصوص للكون من خلال استشراف عوالم رمزية مكثفة هي حصيلة تجربة الإنسان الصوفي مع الذات والكون والله²³ "
- البرزخ في نظر عبد القادر فيدوح، طاقة وجدانية تتفجر بالمدّش واللامنظور وتطفح بالمحسوس والمعقول... ذلك أنّه حس باطن بين المعقول والمحسوس... وهذا ما يمنح النصوص الأدبية الشراق ويمدّها باليخضور، وينفي عنها الثبات والرتابة...إنّه مجال مفتوح على فضاءات لا متناهية من الحرية"²⁴. وقد عرّف ابن عربي البرزخ؛ " بأنه عبارة عن أمر فاصل بين أمرين لا يكون متطرفا أبدا وكالخط الفاصل بين الظل والشمس.." ²⁵ كما ربط عبد القادر فيدوح، بين الخيال والبرزخ، مستندا في ذلك إلى آراء ابن عربي، فقد " أراد أن ينفي عن الخيال صفة التجريد المطلق وكذا الحسية المطلقة فوضعه بين المنزلتين على اعتبار، أنّ علم الخيال هو علم البرزخ، فغريزة الذوق الإنساني لا تصل

عمقها الوجداني إلا بما تقتضيه المخيلة من الواقع وتحوله الطاقة الجوانية²⁶ وفي الأخير يخلص الناقد إلى ضرورة تمثل الناقد المعاصر لمقولات الخيال لدى الصوفية، تمثلاً واعياً يكون بوسعه حينها مقارنة النصوص مقارنة واعية ممكنة²⁷

5- خاتمة: في ختام هذا الطرح، يمكن أن نسجل بعض النقاط المتمثلة في:

- تعتبر الفلسفة الإسلامية، علماً قائماً بذاته، باستنادها إلى مرجعيات عديدة أهمها الفلسفة اليونانية، لكن ما يمنح الخصوصية للفلسفة الإسلامية ازدواجية مرجعيتها بين العقل والدين وذلك بدخول علم الفقه والتصوف وعلم الكلام في تكوين الفكر الإسلامي، وهذا كان بطبيعة الحال في زمن سابق من تكونها وما فتئت أن غيرت مسارها وتفردت بخصوصيتها عن باقي المعارف الدينية سابقاً

- صناعة المصطلح عند الفلاسفة القدامى مرّت بمراحل أسهمت في نضج المصطلح الفلسفي العربي، فكان مرجعية معتمدة لدى مختلف الدارسين من علماء اللسان أو النقاد.
- أثر الفكر الفلسفي الإسلامي في الدراسات الحديثة، خاصة عند النقاد، ودورها في إثراء مكتسباتهم المعرفية، مما كان حافزاً لهم لإثبات أنّ العرب سبقوا الغرب في التنظير للعديد من المناهج والقضايا النقدية المعروفة حديثاً.
- أثر الفلسفة الصوفية، في الناقد عبد القادر فيدوح، فكانت تشغل مساحة واسعة في معظم مؤلفاته.

- تبني عبد القادر فيدوح للمنهج التأويلي، والذي استند فيه بدوره على المنهج الصوفي، من خلال شفرات هذا المنهج والمتمثلة في: فيض البرهان كشف الكشف.
- ومن هنا ندرك أن التراث العربي سواء ما تعلّق بالفلسفة الإسلامية أو غيرها، كان له بالغ الأثر في الدراسات الحديثة والمعاصرة، ويعتبر مرجعية أساسية لمختلف الدارسين خاصة في مجال اللغة والنقد.

6- مصادر البحث ومراجعة:

● الكتب:

- 1- أحمد فؤاد الأهواني، الفلسفة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1985.
- 2- حامد طاهر، الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2002.
- 3- طه عبد الباقي سرور، محي الدين بن عربي، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط، دت.
- 4- عبد القادر فيدوح، الرؤيا والتأويل مدخل لقراء القصيدة الجزائرية المعاصرة، دار الوصال، ط1، 1994 .
- 5- عبد القادر فيدوح، أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصوفية في شعر أديب كمال الدين، منشورات ضفاف، لبنان، ط1، 2016.
- 6- عبد القادر فيدوح، دلالية النص الأدبي دراسة سيميائية للشعر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط1، 1993.
- 7- عبد القادر فيدوح، معارج معنى الشعر العربي الحديث، دار صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، ط1، 2012م.
- 8- عبد القادر فيدوح، نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، الأوائل للنشر والتوزيع، ط1، 2005، دمشق.

● الأطروحات:

- 1- بولعشار مرسل، الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة "ابن فارض أنموذجاً"، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران أحمد بن بلّة، 2014 - 2015م.
- 2- يمينة مصطفى، المصطلح الصوفي في المعاجم والمؤلفات الصوفية، دراسة نماذج، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الانسانية، المجلد6، العدد4، ديسمبر 2021، ص(271_278).

● المقالات الإلكترونية:

- 1- حامد طاهر، الأخريات عند محي الدين ابن عربي، <https://tawaseen.com>
- 2- علي كرزازي، جمالية الخيال الصوفي، 30 أكتوبر 2020 <https://bilarabiya.net>
- 3- محب السيد الرواس، دراسة حول المصطلح الصوفي، 2010/11/23، <https://alrfa3ea.4umer.com/t378-topic>

الهوامش والإحالات:

- 1 أحمد فؤاد الأهواني، الفلسفة الإسلامية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، دط، 1985، ص14
- * هنري كوربان (بالفرنسية: Henry Corbin) (1903 - 1978) فيلسوف ومستشرق فرنسي صبّ اهتمامه على دراسة الإسلام وبشكل خاصّ على الغنوصية الشيعية فترجم أمهات الكتب في هذا المجال من السهروردي إلى صدر الدين الشيرازي مروراً بآبَن عربي وحقّقها وعلّق عليها.
- 2 ينظر، المرجع نفسه، ص 14_15.

- 3 المرجع نفسه ، ص 10
- 4 حامد طاهر، الفلسفة الإسلامية مدخل وقضايا، دار الثقافة العربية، القاهرة، 2002، ص 18
- 5 ينظر، أحمد فؤاد الأهواني، الفلسفة الإسلامية، ص 19_20.
- 6 ينظر، المرجع نفسه، ص 29.
- 7 ينظر، طه عبد الباقي سرور، محي الدين بن عربي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، دط، دت، ص 19.
- 8 المرجع نفسه، ص 19.
- 9 ينظر، المرجع نفسه، ص 96.
- 10 يمينة مصطفى، المصطلح الصوفي في المعاجم والمؤلفات الصوفية، دراسة نماذج، مجلة الرسالة للدراسات والبحوث الانسانية، المجلد 6، العدد 4، ديسمبر 2021، ص (271_278)، ص 274.
- 11 محب السيد الرواس، دراسة حول المصطلح الصوفي، 2010/11/23، <https://alrfa3ea.4umer.com/t378-topic>
- 12 عبد القادر فيدوح، دلالية النص الأدبي دراسة سيميائية للشعر الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، ط 1، 1993، ص 66.
- 13 عبد القادر فيدوح، أيقونة الحرف وتأويل العبارة الصوفية في شعر أديب كمال الدين، منشورات ضفاف، لبنان، ط 1، 2016، ص 22.
- 14 عبد القادر فيدوح، نظرية التأويل في الفلسفة العربية الإسلامية، الأوائل للنشر والتوزيع، ط 1، 2005، دمشق، ص 148.
- 15 المرجع نفسه، ص 184.
- 16 المرجع نفسه، ص 194
- 17 عبد القادر فيدوح، معارج معنى الشعر العربي الحديث، دار صفحات للنشر والتوزيع، دمشق، ط 1، 2012م، ص 119.
- 18 بولعشار مرسل، الشعر الصوفي في ضوء القراءات النقدية الحديثة "ابن فارض أمموزجا"، أطروحة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران أحمد بن بلة 1، 2014-2015م، ص 11.
- 19 عبد القادر فيدوح، معارج معنى الشعر العربي الحديث، ص 121.
- 20 عبد القادر فيدوح، الرؤيا والتأويل مدخل لقراء القصيدة الجزائرية المعاصرة، دار الوصال، ط 1، 1994 ص 67.
- 21 المرجع نفسه، ص 67.
- 22 ينظر المرجع نفسه، ص 69.

- 23 علي كرزازي، جمالية الخيال الصوفي، 30 أكتوبر 2020، <https://bilarabiya.net>
24. ينظر، عبد القادر فيدوح، الرؤيا والتأويل، ص 72.
- 25 حامد طاهر، الأخرويات عند محي الدين ابن عربي، <https://tawaseen.com>
26. عبد القادر فيدوح، الرؤيا والتأويل، ص 72.
- 27 ينظر، المرجع نفسه، ص 73،